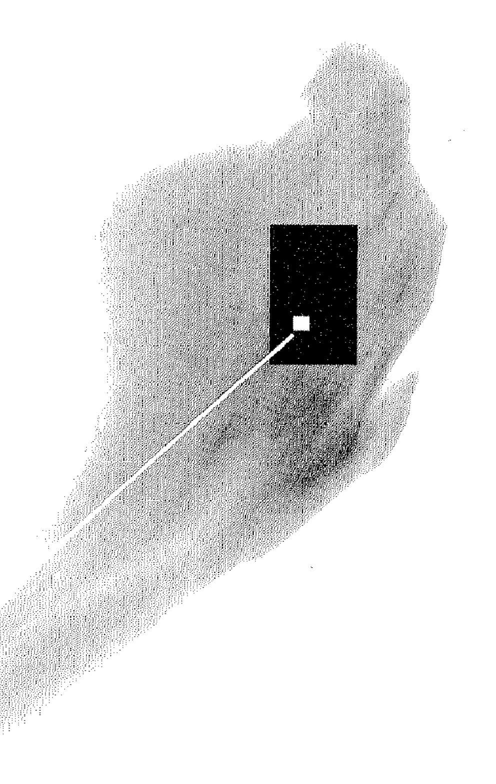
أعلاه مقطع من صورة شخصية للكاتب

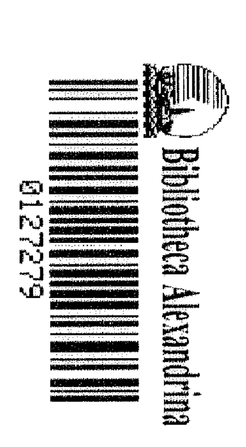
غابرييل غارسيا ماركيز

خطبة لاذعة ضد رجل جالس

مسرحية

Diatriba de amor contra un hombre sentado







خطبة لاذعة ضد رجل جالس

مسرحية: غابرييل غارسيا ماركيز

ترجمة وتقديم

نجم والي

الطبعة الأولى

1998

منشورات المجمع الثقافي
Cultural Foundation Publications

ابوظبي ـ الإمارات العربية المتحدة ـ ص.ب ٢٣٨٠ ـ هاتف : ٢١٥٣٠٠
ABU DHABI - U . A . E . - P .O. BOX : 2380 - TEL. 215300 Cultural Foundation
http:// WWW. Cultural. org.ae

٨٦٢
م ا خ ط

ماركيز، غابرييل غارسيا، ١٩٢٨ -
خطبة لاذعة ضد رجل جالس: مسرحية / غابرييل غارسيا
ماركيز: ترجمة وتقديم نجم والي. - ط ١. - ابوظبي: المجمع الثقافي،
١٩٩٨.
٨٧ ص ؛ ٢٤ سم
١ - المسرحيات الاسبانية - كولمبيا. أ- نجم والي، ١٩٥٦ - ، مترجم.
ب - العنوان.

التنفيذ الداخلي: عادل يونس تصميم الغلاف: علي الجاك

ليس هناك أكثر شبهاً بالجحيم من زواج سعيد

كتاب غابرييل غارسيا ماركيز الأخير «خطبة لاذعة ضد رجل جالس» Diatriba de amor contra un hober sentado أثار نشره الاهتمام في اميركا اللاتينية وأسبانيا . فالشتائم التي تطلقها الزوجة غارسيلا (الاسم المؤنث لغارسيا) ضد زوجها الصامت والجالس على كرسيّه ، يقرأ جريدة ، هذه الخطبة ، هي بالأحرى مونولوج درامي ، تنفض فيه الزوجة ، كل المرارات التي تجمعت عندها طوال هذه السنين .

سيفاجأ الكثيرون بعد قراءتهم للعمل ، عندما يكتشفون ، أنّه يخلو من كل ما له علاقة بما اطلق عليه الواقعية السحرية ، فهو من أشد أعمال ماركيز قرباً إلى الواقعية ، بل يذهب العمل في طريقة كتابته وحدّة نقده للعلاقات الاجتماعية (سواء في فضحه

لمجتمع المرتشين ، «الراقي» أو تصويره الكاريكتوري للعلاقة الزوجية التقليدية) بعيداً ، حتى ينضوي تحت قائمة الكتابات الواقعية النقدية ، دون أن يرشحه أحد إلى ذلك .

الشكل الأول للعمل كُتب في المكسيك عام ١٩٨٧ ، حيث أُخرج على المسرح وعُرض بعدها بفترة قصيرة في هافانا وبوينس آيرس ، ثم أعاد ماركيز كتابته من أجل عرضه في بوغوتا عاصمة كولومبيا . هذه الصياغة جاءت في كتيب صغير من ٨٦ صفحة من القطع المتوسط .

بعد قراءة العمل بنَفَس واحد ، لا تحدو المرء الرغبة بأن يكون هو مترجِم الكتاب ، فناهيك عن الاستخدامات اللغوية الكولومبيّة الكثيرة العدد ، والتي تتطلب دراية بلغة الشارع للبلد الكاريبي هذا ، زائداً معرفة جيدة بالأمثلة المستخدمة هناك ، ومعادلها في العربية ، أقول ناهيك عن ذلك ، فالعمل مليء بالقفشات أيضاً ، التي تحتاج الى التوضيحات للمحافظة ولو على اليسير الباقي من طراوة النكتة . فسخرية كلام غارسيلا لا تندرج ضمن خطابية

مجانية ، وإنما هي تعود إلى مدينة : كل واحد يحمل فيها لقب دكتور ، فيما تملك هي لوحدها ، غارسييلا ، كما تقول ، أربع شهادات بدرجة دكتوراه .

ان تداعي غارسييلا الحر ، هو مونولوج تأملي أدبي محكم بصورة عالية . البناءات الدرامية للمشاهد والإشارات المتعلقة بها مبنية بمهارة بحيث أنها تبرز ، وفي أكثر من مكان ، وبصورة ملائمة أيضاً ، توتر كلام غارسييلا ، كما أنها تمنح المناخ المتطابق ، أو في أحسن الأحوال ، الدافع لاسترسالات الشخصية ، بل تأتي في بعض المشاهد معادلاً لما تريد أن تقوله غارسييلا ، حتى وإن صمتت بعد مونولوج طويل ، وهذا يُتيح بلا شك ، وفق تصوري ، للممثلة أن تسترجع أنفاسها بعض الأحيان ، فهي بالتأكيد ستكون بحاجة ماسة إلى تلك الفواصل الصغيرة ، إذا عرفنا حجم الثقل الملقى على ممثلة واحدة ، لتلقي مونولوجها البالغ ٨٦ صفحة على طول الليلة . غارسييلا تدخن ، تغيّر مكياجها ، تنظر إلى نفسها في المرآة التي تتخيلها أمامها ، تتكلم مع الجيران

المزعجين الوهميين ، وكل مرة تعود من جديد إلى زوجها (الغارق في صمته) ، الجالس في كرسيه ، يقرأ الجريدة .

هي وزوجها أرادا ، في الحقيقة ، الاحتفال بالمناسبة الفضية ليوم عرسهما الذي مرَّ عليه خمسة وعشرون عاماً ، تلك الليلة وحتى الصباح الباكر ليوبيل الاحتفال أرادت غارسييلا أن «تُفرِّج عن نفسها» تحت درجة ٣٥ مئوية و ٩٥ من نسبة الرطوبة في مدينة كاريبية (يمكن تخيل رعب الطقس !) . إنّه الثالث من أغسطس عام ١٩٧٨ . خمسة وعشرون عاماً من الزواج تجعلها تستعرض ، ما يسمح لها ، يقيناً ، لأن تبدأ مونولوجها بالجملة التالية «ليس هناك شيء أكثر شبها بالجحيم من زواج سعيد» لأن «حبها لم يقابله حب ، وأن إخلاصها كان قد قوبل باللاّ إخلاص» . إنها درست كي ترضي الطبقة الارستقراطية التي ينتمي لها زوجها ، ربما كان عليها أن «تهرب مع أدبائها المفضلين الذين يدرسون العلوم معها» . . غارسييلا تعي تناقضاتها ، خيبة أملها بزيف حب زوجها ، لهذا السبب هي أكثر من «كسانتيبة» -Xan

tippe (زوجة سقراط ، التي كانت مشهورة بحبها للشجار ، حتى أصبحت مثلاً أسطورياً) . إنها إمرأة نبيهة وحساسة المشاعر مع امتلاكها لرغبة حادة وطرية للدخول في الإشكالات ، من دون الخوف مما يحمله حماسها من نتائج ، لأن ما يعنيها في نهاية الأمر ، هو تثبيت شخصيتها . إضافة إلى ذلك ، فإنّ غارسييلا واحدة من أبطال ماركيز المتفردين الذين لا تنقصهم التراجيديا مطلقاً ، كما أنهم ينضوون في اللحظة المنتصرة لأبدية تصوراتهم الحياتية . وحتى لو بدت غارسييلا حادة في أكثر من مكان ، فإنّها تجلب الآخرين للضحك أيضاً .

في ثلث المسرحية الأخير يتصاعد مونولوجها ليتحول إلى شكوى ضد الطبقة البورجوازية العليا الكولمبيّة . غارسييلا لا تريد أن تساهم في احتفال الكذب هذا : لا تريد الجلوس على مائدة واحدة مع السياسيين المجرمين ، لكي تُجبر على سماع سخافاتهم وتعليقاتهم الخالية من اللياقة ضد الأدباء . وفي المقابل عليها دائماً أن تجيب على سؤال زوجها «أليس بهذا الشكل يا حبيبتي؟» بالكليشية «نعم ، نعم ، حبيبي» .

وغضب غارسييلا بالتالي ليس ضد زوجها ، وضد الطبقة العليا المتفسخة فقط ، إنما هو غضب ضد نفسها أيضاً ، لأنها هي التي تحملت كل هذه الحياة الكاذبة ، الحياة المليئة بمراسيم الطبقة العليا ، المشبعة بالتمثيل ، والتي يعوزها الصدق . إنّ وعيها الحاضر ، لا يخفف الألم أو الغضب عندها ؛ على العكس ، يعمقه ، لأنّها تعرف ، أن لا حيلة لها الآن ، بعد كل هذه السنين ، على تغيير وضعها . حتى إنها لا تريد أن تعرف ، أنها عاشت كل هذه السنين هباء ، وتسلم أمرها لأنها لم تعثر على من تحب ، هكذا تخاطب زوجها ، «إذا لم أجده ، لا يهم . أفضّل أن تكون عندي حرية البحث عنه دائماً ، أكثر من رعب معرفة ، أنه لا يوجد آخر ، والذي أستطيع أن أحبه ، كما أحببت مرة واحدة في حياتي . هل تعرف من؟ (تصرخ به على قرب) : أنت أيها النذل !» .

وشعورها بكونها ضحية لحبها لا يبقي لها سوى قول ما يأتي في السطر الأخير من الصفحة الأخيرة وتحت إخراج مبدعها غارسيا ماركيز : «أن يتركني

المرء فقط أتكلم» .

بقي أن نقول للأمانة الأدبية ، أن الكاتب الإسباني المشهور ميغيل ديليبس Miguel Delibes ، كان قد نشر في الستينيات رواية ، إسمها «خمس ساعات مع ماريو» ، تعالج الموضوع نفسه ، وتتبنى أسلوب الكتابة ذاته ، وفيها أيضاً تلقي امرأة مونولوجها ضد زوجها . الفارق الوحيد ، هو أن الزوج في رواية ديليبس ، ميت . علينا ألا ننسى بصورة خاصة مسرحية «الأقوى» لأوغست ستريندبيرغ التي تخاطب فيها الزوجة عشيقة زوجها التي تظل جالسة على طول فترة المحادثة بجانبها وهي تقرأ لا تنطق بكلمة واحدة مثلما يحصل لشخصية الزوج في هذا العمل .

بقي لي أن أشير مرة أخرى إلى صعوبة ترجمة العمل ، لأنني حاولت أن أبقى أميناً للنص ، حتى إنني تركت كتابته على الطريقة ذاتها التي جاءت في النص الأصلي . رغم ذلك مازال عندي الشعور أنه كان من الأفضل ترجمته للغة الدارجة لكي يبقى محافظاً على روحه وبساطة اللغة التي كتب فيها ماركيز .

عُرض هذا العمل للمرة الأولى في كولومبيا من قبل المسرح القومي في يوم ٢٣ مارس ١٩٩٤ ، ضمن احتفالات مهرجان المسرح الأميركي اللاتيني الرابع ، بالتعاون بين المسرح الحر لبوغوتا والمعهد الكولمبي للثقافة .

حتى الآن ، وقبل النداء الثالث ، ما زلنا مع الستارة المسدلة والأضواء مازالت مشتعلة في الصالة ، يُسمع من عمق المسرح تحطم زجاج لأواني مائدة تتحول إلى كسر فوق الأرض . ليس هو حطاماً فوضوياً إنما هو تحطّم منظم بصورة جيدة وبشكل ما مبهج ، لكن ليس هناك شك بأن الباعث هو غضب لا عزاء له .

بعد انتهاء الحطام يرفع الستار على منظر معتم.

أنه الليل. غارسييلا توقد عود ثقاب في الضباب لتشعل سيجارة، يفتتح اشتعال الكبريت إضاءة المسرح البسيطة: إنها غرفة أغنياء، بأثاث حديث وذوق جيد. هناك مجموعة شماعات قديمة، تُعلق فوقها بعض الملابس التي ستستعملها غارسييلا على طول مونولوجها، والتي ستبقى هناك طول وقت الدراما.

المنظر الأساسي هو فضاء بسيط ، جاهز لتجريب تغييرات للمكان وللزمن بحسب أوضاع وحماس البطلة الوحيدة ، التي تجري تغييرات ضرورية خلال

مونولوجها من أجل تغيير الفضاء . سيدخل في الظل في بعض المشاهد خادم صامت من أجل عمل تغييرات معينة .

يجلس الزوج على الطرف الأيمن غاطساً في مقعد إنكليزي وبدلة غامقة يُخفي وجهه خلف جريدة انهمك في قراءتها . إنه الزوج الغير المتحرّك . الدمية .

سيكون في مناظر مختلفة جرّات ، أكواب ماء ، علب كبريت وعلب سجائر أو سيجار . تشرب غارسيلا الماء وقتما تشاء ، وتُشعل السجائر بدوافع لا تقاوم ، وتُطفئها تقريباً مباشرة في منافض السجائر القريبة . يغيّر المخرج أكثر مما هو معتاد وحسب القناعات الدرامية .

الدراما تجري في مدينة كاريبية بخمس وثلاثين درجة في الظل وبتسعين بالمائة درجة الرطوبة النسبية ، بعد أن تكون غارسيلا وزوجها قد رجعا من عشاء غير رسمي قبل الفجر بقليل من يوم ٣ أغسطس عام

١٩٧٨ . هي تلبس فستاناً بسيطاً لمدينة حارة وبزينة يومية . تبدو شاحبة ومرتعشة بالرغم من الماكياج القوي ، لكي تحافظ على سيطرة نفسية بسيطة لشخص بدا فاقداً صبره أكثر من كل شيء .

غارسييلا : ليس هناك شيء أكثر شبهاً بالجحيم من زواج سعيد .

ترمي حقيبتها اليدوية على أحد الكراسي، ترفع جريدة المساء من على الأرض، تتصفحها بسرعة وترميها فوق الحقيبة اليدوية. تنزع الحلي وتضعها فوق طاولة تتوسط المكان.

أنه حقاً لرجلٌ ، من يستطيع تنظيم هذا الاحتفال بذكرى زواجنا الفضية . وحتى الآن يجب أن أشكره لأنه منحني كل ما هو ضروري للاستمتاع بحماقتي ، يوماً بعد يوم ، طوال خمسة وعشرين عاماً مميتة . كل شيء ، بما في ذلك ولدٌ لعوبٌ وكسول وفاجر ، وابن سافلة مثل أبيه .

تجلس تدخن، تنزع الأحذية، تنغمر في تأمل عميق،

وبصوت متوتر منخفض، يشبه صوت زُنبور ذي وتر واحد، تبدأ بفرط عقد التوبيخ بلا إنتهاء

:

هل تعتقد : بأننا سنلغي في الساعة الأخيرة الحفل الذي سيطر على كل لسان أكثر من أيّ شيء هذا العام؟ لكي أظل أنا أبدو مثل شخصية القصة المسكينة وأنت تسبح في ماء الورد؟ نعم ، نعم . الضحية الأبدية ! لكن بنفس الوقت تمتنع أنت عن الرد ، تمتنع عن مناقشة المشاكل مثل الناس المترفعين ، تمتنع عن النظر إلى وجهي .

إنتظار طويل

موافقة : الصمت أيضاً جواب . هكذا تستطيع البقاء هناك قروناً ، لأني أعرف أنك ستسمعني بالتأكيد .

تُطفئ السيجارة بدعكها دون شفقة في المنفضة ،

وتبدأ بنزع ملابسها شيئاً فشيئاً دون أن تقطع المونولوج .

لأن فستان النهار محاط بسطر من الأزرار، تبذل غارسييلا كل المحاولات الأكروباتيّة من أجل فتح الأزرار دون اللجوء إلى مساعدة الزوج. لكنها تنتهي بالاستسلام، ساحبة بكل قوتها جانبي الثوب إلى مستوى رقبتها، لتجعل برمية واحدة مليئة بالطاقة كل سطر الأزرار يقفز.

تخلع في النهاية الجوارب وتبقى حافية ترتدي قميصاً من الحرير فقط.

ليلاً سيأتي هنا كل من هو مهم وذو وزن في هذه البلاد . من الأحسن القول : كل العالم باستثناء الفقراء . بالشكل نفسه الذي أعلنته أنت قبل خمسة وعشرين عاماً ، عندما أقسمت بأنك ستبدأ بتكريس كل دقيقة من حياتك من أجل التحضير للاحتفال بالعرس الفضي للزواج الأكثر سعادة على وجه الأرض .

حسناً إذن : لماذا نحن هنا . إذا لم تكن متفحصاً لهذه الجريدة التي تعود لليوم الماضي ، في حالة قراءتك لها هذا المساء ، كنت تستطيع إخراج النقود من النفق بما ستُكلفك خيلاؤك المتنبأة .

تعود إلى قراءة الجريدة المسائية قرب« اللمبة»

أكثر من ألف مدعو محلي وعالمي ، أربعة قناطير من الكافيار ، ستون ثوراً مستوردة من اليابان ، كل الصناعة المحلية للطواويس ، وخمر كاف لحل عوز المعيشة الشعبي . **(تقاطع نفسها عندما يَخطر على بالها بأن تلك ليست معلومات دقيقة)** . انها معلومات خبيثة ، لكنها ليست مبالغاً بها . **(تُكمل القراءة قافزة على الكلمات)** : يشتم السواح لأن هناك في الفنادق مكان للذين يحملون بطاقة دعوتنا فقط . الأزهار الحمر التي نفلت منذ ثلاثة أيام ، ظهرت هذا الصباح أكثر غلاء بعشرة أضعاف . السلطات تحذر الأهالي ضد كل نوع من أنواع المجرمين التقليديين ، سياسيين

وضباطاً ، الذين يصلون منذ الإثنين ، نتيجة إعلان مزيف بأن هناك احتفالات عامة . هناك أكثر من ستين مقبوض عليهم .

تقرأ قليلاً وترمي الجريدة بعيداً:

انتهت هذه البلاد .

(*متحمسة*) هكذا يأتي الجميع حتى أصدقائي من رجال الأدب الذين تنازلوا عن لبس زي البطاريق من أجل مصاحبتي في ليل الجلال . وستأتي هي طبعاً ، هي الأولى قبل الجميع . ماذا تعتقد؟ بأنني سأضع نفسي في مذلة ألاّ أدعوها؟ نعم ، نعم . إذا كنا في احتفالات السنوات الماضية ، منحوسين أو ممجدين ، لم أر أي ضير من وجودها بيننا وخصوصاً بالمناسبة الأكثر أهمية في حياتنا : الأخيرة .

تُقاطعها أصوات كنيسة بعيدة تدعو للقداس. تصمت لكي تُضيف لكنها لا تستطيع تجنب اختلاج عواطفها.

هاهو هناك ، يا إلهي : سيطلع اليوم ! الأربعاء يوم الثالث من أغسطس ١٩٧٨ . من كان بإمكانه أن يقول لنا بأنه حتى بعد خمس وعشرين سنة من الزواج يظل الثالث من أغسطس ماثلاً !

في يوم مثل هذا اليوم خرجنا من صومعة سان خوان الكريم . أنت بالقيمص المعمول بكيس الطحين ، كان مازال له حزمة السنابل وماركة المصنع المطبوعة على الظهر ، وبمعطف راهب مبتدئ أعارتني إياه إحدى الصديقات ، أوسع مرّتين كي لا ينتبه أحد على الأقل إلى حالتي . على أية حال سمعت أحدهم يقول بشكل عابر : «إذا تأخروا بعض الشيء فبإستطاعة الطفل أن يكون العرّاب» .

كان الجو غريباً جداً ! السماء المفعمة بالأضواء البراقة مليئة بطيور سود تنعق محلقة فوق رؤوسنا . قلت ، بالرغم من أنك تنكر ذلك الآن ، بأن يوليوس قيصر ما كان قد تزوج تحت رعاية نحس مثل هذا ،

ولكنك أنت تفعل ذلك . وما هو أغرب أنك أدركت القسم بسبب ذلك . كيف يُقال؟ (حائرة) : توصلت إلى أن تصنع مني سعيدة دون أن أكون كذلك . من الصعب فهم ذلك ، ولكن لا يهم : أنا أفهم نفسي .

للمرة الأولى تنظر للزوج مع استدارة رأسها بحركة عفوية

(ساخرة): ماذا تنتظر؟ أن أسقط بين ذراعيك فاقدة الحواس لأشكرك على ما فعلته من أجلي؟ أن أستسلم لك جزاء الإحسان الأبدي لأنك كنت قد غمرتني بالذهب والمجد؟

تصنع إشارة بذيئة بالقبضة المغلقة.

انظر !

تشعل سيجارة أخرى كي تهدأ، في نفس الوقت: في مكان المنظر الأول

يظهر شكل بيضاوي منير: مرآة خُوان الزينة.

غارسيلا تجلس في مواجهة الجمهور على كرسي خوان الملابس بالإتجاه الواضح داخل الشكل البيضوي للضوء وبعد لحظة من التفكير تزفر:

(مشتاقة): آه لو ذهبت عنا الحياة ، يا نذل !

تمط جلد الوجه باليدين، وتستحضر شكله بحزن كما كان قبل خمس وعشرين سنة. ترفع الأثداء : هكذا كانوا . *توجّه إلى ظلها جملة بلا صوت، ولكن بحركة الشفتين، إذ من الممكن أن يُفهم المعنى من حركة الشفتين.*

تُقرب إليها المرآة من أجل أن تسمع الظل غير المسموع، ترجع لتنظر إلى الزوج من أجل أن تتأكد بأنه لا يسمعها، وتقول جملة أخرى إلى المرآة بلا صوت. ترغب بالضحك لكنها لا تقدر: عيناها غارقتان بالدموع.

تحاول فرك أجفانها إلا ان الوجه يلطخ بالماكياج. لا تستطيع تحمل ذلك، تقول بغضب:

- اللعنة على عالم كهذا !

تبدأ بإزالة الماكياج أمام المرآة، في الأول بسبب غضبها

لأنها بكت، ثم بطريقة مؤثرة، بينما تُكمل قائلة، لكن الآن ليس مع الزوج إنما مع خيالها .

إن لم يكن ذلك بسبب الشروقات سنبقى شباباً طوال الحياة . إن من المؤكد : أن المرء يشيخ عند بزوغ النهار . «العصريّات» حزينة لكن تُجهِّز المرء إلى مغامرة كل ليلة (كما سيقول أصدقائي من رجال الأدب) .

الإشراقات لا . في الأعياد ، منذ أن أشعر بصمت الفجر يبدأ بي جزع لا يستريح في الجسد . يجب المغادرة ! بسرعة ، بعيون مغلقة من أجل عدم رؤية النجوم . لأنه عندما يباغتنا النهار في الشارع بملابس الاحتفال يُلقي بنا تحت وابل من مطر سَنين حتى إننا لا نرجع لخلع ملابسنا أبداً . لذلك لا تعجبني الصور الفوتوغرافية : يعود المرء لرؤيتها في العام القادم ويراها وكأنها أُخرجت من زبيل الأجداد .

تستمر بإزالة الماكياج

كم كان عمري؟ كم؟ ثلاثون عاماً تقريباً ، كانت في تلك الأزمنة كثيرة ، أكثر من اللازم . الأطفال يقولون : عجوز الثلاثين عاماً . حسناً كان عمري ثلاثين عاماً عندما ذهبنا بالقطار الليلي من جنيف إلى روما . تعشّينا بمصاحبة الشموع ، لعبنا الورق مع إثنين سويسريين متزوجين حديثاً كانت عندهما الرغبة الملحة بالخسارة من أجل الذهاب إلى الفراش ، واستيقظت سعيدة في السادسة ، مجنونة لرؤية منظر معجزة سقوط الماء في فيلا الغرب . فجأة لسوء حظي تطلعت بالمرآة . أي رعب ! . على الأقل خمس سنوات أخرى . ولا تصلح ماكياجات الخل ، ولا لبخات الإنسان الثقيل ، لا شيء ، لأنها ليست شيخوخة الجلد ، إنما هي شيء غير قابل للإصلاح حدث للروح . تف !

... ...

مع الأسف ، لماذا يبقى القطار هو الطريقة الوحيدة الأمثل لسفر الإنسان . الطيارة تشبه معجزة ، لكنها تذهب بسرعة كبيرة وتوصل الجسد فحسب ، ويمر

يومان إثنان أو ثلاثة مثل سير النوم حتى تصل الروح متأخرة .

تتوقف، تنظر إلى الزوج، كما لو انها سمعت صوته، وتقول له بإحتقار، تجسده الحروف جيداً جداً.

لا ـ أتـ كلـ ـ م ـ معـ ـ ك .

بعدها تشير، كما لو كانت ترى من خلال نافذة، النهار وهو يتضح .

أي جمـال ! هاهو هناك ! لا يغطي أبداً مـا كـانتـه شروقات فقرنا طبعاً . لكن ليكن ما يكون ، فمع ذلك منذ اليوم مازال هناك مـا يكفي لخمس سنوات أخرى من الحياة . *(تعـود إلى نفسـهـا)* حتى مع زوج مُحنط خلف الجريدة .

تستمر بمتابعة الشروق برهة طويلة، مدهوشة، واعية للتضحية بخمس سنوات من عمرها للمعجزة، بينما النهار

يأخذ بإنارة المشهد. عند النهاية تزفر.

(كلها حنين): كم كنا سعداء ، يا إلهي !

(للزوج) إذا كان عليهم أن يُعاقبوك على شيء يوم الحساب فهو بسبب حصولك على الحب في البيت دون أن تعترف بذلك . مستعدة لأكون أكثر شروقاً من أجل أن أكون في البيت الصغير العاري في المستنقع ، أشمّ رائحة السمك المقلي تلك ، المقلي جيداً ، وأصغي لصياح الزنجيات اللواتي يمارسن الحب في منتصف النهار بأبواب مشرعة . الإثنان نائمان تحت شبكة النوم ومكان حار آخر لاثنين ، بموقد كاربون من الأفضل عدم امتلاكه لعتق استعماله تقريباً ، وبمرحاض طافح بانفجار الروائح النتنة من بحر هائج .

الشكل البيضوي للضوء ينطفئ والصالة تبدأ في التحول إلى غرفة فقيرة لحي من الكاريبي، ذات أثاث شحيح ريفي

مكسر، بينما تأخذ غارسييلابترتيب بعض الأشياء وتغيير أماكنها، بينما هي تتحدث. ثمة شبكة نوم كبيرة بألوان حيوية تُعلق في لحظتها، في العمق، هناك نافذة مفتوحة على البحر الباهر.

وهناك أسلاك مختلفة لتجفيف الثياب، لكن قميصان رجاليان فقط عُلقا فوقهما. الوحيد الذي يبقى بنفس الوضع هو الرجل خلف الجريدة.

عندما تنهض غارسييلا من طاولة الزينة نرى بأنها حامل بستة أشهر. بدون مكياج، بقميص ذي سروال وربطة مشدودة حول الرأس، تأخذ بإستعادة الهيئة الشابة والفقيرة لأزمان الحب الأولى.

عندي الرغبة في تحطيم رأسي ضرباً بالحيطان ، ما أن أفكر بأن أمي هي الوحيدة التي لا تستطيع القدوم هذه الليلة . الأولى التي تستحق الظهور . حتى وإن كان ذلك من أجل أن أذكر في الوقت المناسب بأن سعادة النسيان هي الوحيدة التي لا تنطفئ .

من طرف آخـر كنت سـأكـون مـحظوظة لـو كنت ورثت فضيلتها برؤية الأشياء قبل حدوثها ، كما لو كانت الحيـاة تحمل عواقب الأمـور . فـوق كل شيء عـواقـبك . نعرف أنك أحـد الجاحـدين لعـائلة لوس خارايز دي لا بيرا بأنك تنظف نفسك من الشـهادات المكتوبة على الورق لأجدادك وكنت أمرت بالطيران لبهرجة هـذا النزل وتاج الذهب لاسمك العائلي وهذا كـان كافياً لنا من أجل فتح القلب لك . أمي فقط لم تنخـدع . قبل أن أضـرب لك مـوعداً من البعـيد في أعياد سان لازارو ، بتجعيداتك الذهبية للملاك دي لا غواردا ، تقريباً قبل التأكـد تماماً من أي صنف أنت من المعـوقين ، تكهنت مع نفـسي : «هـذا الشـاب له وجـهـان : الوجـه الذي يـريناه إياه والذي هو لـيس بجيد ، والوجه الآخر الذي لابد أن يكون أسوأ» .

تحمل سلة كبيرة لأثواب مغسولة وتعلق بعض القراصات على الأسلاك.

لم أملك شيئاً ، لكني تنازلت عن كل شيء بسببك . (تكمش الكتفين) حسناً أفهم نفسي . من الواضح أنك لا تستحق تضحية أبداً . أي هراء ! لم يهمك الأمر حتى . هل تعرف لماذا؟ لأن كل حياتك تتبع حظك . على العكس مني ، أنا لا أملك من يحمل عني الصليب ، لأني أنا نفسي أُقدّم لنفسي صبغة الأفيون بملاعق صغيرة من الذهب .

كان يكفي قول أمي لي بأنك لست رجل حياتي لكي أكون حذرة منك . كان الناس يقولون بأنه كان المزاج الطبيعي للزواجات السريعة ، المسكينة أنا بعد ذلك ، لم أتجاوز التاسعة عشرة من العمر ، لكن أتحدث كما لو كنت أجرجر القدمين (*تُقلد نفسها*) أوتيليا تنظف الجوف الخشبي ، الأحمق قذف الكرة ، العراف يمنح نفسه للشراب . من الواضح أنك بطريقة ما رائد بموجة تسريحة الشعر الحديث لهذا الحد (*تشير حتى الرقبة*) ولحية كانت تبدو دائماً لم تحلق منذ ثلاثة أيام ، ونعالات طواف بالأصابع إلى الخارج . وفنان

في التعمير سابق لزمانه : لا كحول ، لا دخان ، لا أكل قبل أن يكون بُذر في الحديقة . ذكوري ، هذا نعم ، مثل كل الرجال وتقريباً مثل كل النساء ، وبموهبة متميزة لإظهار قيمة العالم . للأسباب المضحكة نفسها التي تعلنها هذه الساعة برفعة السياسيين القليلي القيمة الذي ينهبون هذه البلاد !

إذا كنت ألححت معك منذ البداية لكان من أجل أن أعاند أمي فقط ، والتي كانت أتعبت كليتيها فهي تعمل مثل بغلة ، أولاً من أجل أن أنهي دراسة البكالوريا الأدبية مع الراهبات الغنيات ، وبعدها دكتوراه في الجامعة ، دكتوراه في أي شيء ، لا يهم أي شيء كان . لغاية تعرفك عليّ كنت مستمرة أمجد نعماتي في الأسواق كما لو كنت وُلدت من أجل البيع .

تفتح منضدة للكي، تعزل موقداً من أجل إحماء المكواة ، وتبدأ (بكي) بعض القمصان الجافة المعلقة على السلك.

قبل أن أرقد أخلع كل ما لبسته من أجل ألاّ أهرب بعد استلقائي إلى جانبك ، كل شيء ، باستثناء قلادة العذراء دي لوس ريميديوس التي أنقذتني من كل ما هو سيء (على الأقل منك ، إذا استدعى الحال) ، تركت نفسي بنفس الوضع الذي وُلدت به ، متروكة وملساء من كل جانب ، مثلما كان يُفعل في الماضي . الأمر الوحيد الذي لم يحدث هو ما حدث لي : بأني ذات ليلة ألقيت بنفسي من النافذة في المياه الميتة للخليج ، هكذا كما كنت ، ورحت باحثةً عنك سابحةً تحت الماء . أية روعة ! ، دون السوتيان ذي الإبزيم ، لا بطانة للتنورة ، لا شيء من سروال القطيفة الهندي بالشريطة المشبوكة ، لا شيء للاشيء ، إنما متهيئة مرة لك ، جديدة ، أمرغ نفسي في الوحل المتعفن مثل كلبة شارع .

بقينا مثل طيور : أنت مرفوض من قبل أهلك وأنا من أهلي . لكننا سعيدان بالذي ملكناه . عكس هذه الساعة ، فكل شيء فائض علينا ، باستثناء الحب .

في الغـرفـة المجـاورة نبـدأ بسـمـاع صـوت لحن حنون، معزوف بسـاكسفون، من الواضح انه عـزف لمبتدئ. أنه بحق لأغنيـة جـميلة جـداً، تؤلف بشكل خـاص للعـمل هذا من روح المرحلة وذوقها.

غـارسـيـيـلا تقطع المونولوج، وتقلد صـوت السـاكـسـفـون بصـوتها، وبعـدها تبدأ بغناء الأغنيـة بصوت خـافت، كـمـا لو كانت تتـذكر الكلمـات. في النهاية تغنيـهـا كـاملة وجيـداً، مثل محترفة.

بينمـا تسـتـمـر الأغنيـة، تغـلق طاولة الكيّ، تبـدأ بتـغـيـيـر الديكور بسحب (الكلة) ليصبح المنظر بأثاث معاصر.

عند انتهاء الأغنية يبدأ نهار واسع في صالة البداية.

حسناً : بالنسبة لي لم يهمني الفقر . على العكس ، ليتني كنت في تلك الحالة ، يتيمة ومسكينة ، لكن متهدلة بسبب تمارين الساكسفون لآماليا فلوريدا ،

التي يحفظها الله في مملكته المقدسة . المسكينة آماليا التي ضحت كل حياتها لتتعلم مقطوعة واحدة فقط من الساكسفون ، دائماً الشيء نفسه . (**تعيد بصوت *الساكسفون ايقاعات الموسيقى الأولى للاغنية التي غنتها للتو. تضحك سعيدة*):** بعض الأحيان لا أستطيع التحمل أكثر وأصرخ بها : (***تصرخ):*** «آماليا بحق الله ، اتركي هذا النحاس !» . وهي ، جدية جداً ، تصرخ بي : (***تصرخ):*** «لا تكوني قاسية ، أيتها الطفلة . الساكسفون ليس نحاساً» . وتستمر تتمرن على الأغنية نفسها ليل نهار .

يقيناً إن السعادة ليست كما يقولون ، بأنها تستمر فقط للحظة واحدة ولا تُعرف عندما تمتلك إنما عندما تنتهي . الحقيقة أنها تستمر باستمرار الحب ، لأن استمرار الشعور بالحب حتى الموت ، أمر جميل .

تُشعل سيجارة.

إلى الآن وأنت تملك الوقاحة لتقول لي إنّ

الشيخوخة تجعل مني غيوراً . تصور ! الله وحده يعلم لماذا لم أسترق السمع للقيل والقال عن مغامراتك . بأن ذلك عندما عدت في ذلك اليوم إلى البيت محتضراً في الخامسة صباحاً ليس بسبب محاولتهم إختطافك (كما عملت على نشره في الصحف) ، إنما لأنك بقيت طوال الليلة محبوساً مع واحدة لم تبلغ سن الرشد في بيت بعيد ، وأنت نفسك مزقت ثيابك وعملت آثار ضرب على وجهك لكي يُصدقوا قصتك . ذلك بأنهم هجموا مرة أخرى عليك - وكان حقيقة - عندما كنت في السيارة مع روزا سان رامون ، أي رعب ! ، مع القديسة روسيتا سان رومان ، ليس غيرها ! ولم يتركوكما أنتما الاثنان عاريين فحسب ، إنما اضطررت أن تدفع لهم ، لا أعلم كم ، كي لا يهينوك أمامها . ربما من أجل ذلك جئت بهذه السرعة عندما بعثوا لي برسائل مجهولة . لأنهم يتحدثون فقط عن الشنائع التي تمر بها بشكل مفضوح ، أما التي تمر بها بشكل جيد تتحدث أنت عنها ، ولا أحد يُصدقك .

لم يكن يهمني كل ذلك ، لأنني نفذت دائماً كل ما أقسمت عليه عند الزواج : لا يهمني مع من تستلقي هناك ، بشرط أن لا تكون دائماً هي نفسها . لكن لا تقل لي الآن إنك كل مرة كنت مع أخرى مختلفة ، كان عليها – على الأقل – ألاّ تحتفل معك بالزواج الفضي الذي نحتفل به نحن . أكثر من السنوات التي تملكها متزوجة مع جنون زوجها ، الذي يُقال عنه إنه يذهب إلى الحلاقة مرة واحدة في الاسبوع لكي يقصوا له الزلوف ويتفاخر في المجتمع بأن أولاده عندهم نفس الرموش العربية لعائلة خارايز دي لابيرا . كلهم ، باستثناء الطفلة الصغيرة ، النشيطة ذات الجلد الأسود هذا الذي لا أحد يعرف من أين جاءها ، الشيء ذاته الذي يجعلني أفكر (الحمد لله) ، بأنهم أعطوك لتحتسي الحساء نفسه بملاعقك ذاتها .

يُزحلقون جريدة اليوم من تحت الباب . تأخذها هي وتضعها أمام الزوج .

(ساخرة): ها هي عندك جريدة اليوم ، لكي تعطيك

الراحة التي تستحقها ، لابد أن تكون مُحيت من كثرة قراءتها .

تعتقد بأن صوتاً غير مسموع يقاطعها عند الباب . تُصغي بانتباه ، وبعدها توزع تعليمات من أجل الاحتفال :

لا شيء من هذا ، قل له ، لغاسبار بأن يتحرك مثلما ذكّرنا هو باختبار يوم السبت ، وأن أي جديد لآخر ساعة عليه أن يحُله هو بنفسه وفق مقاساته ، اتفقنا؟

فرصة من أجل السمع

نعم . من فضلك ، لا تزعجني أكثر من هذا ! ، ولا السيد . ولا حتى بالتلفون . قولوا إنكم لا تعرفون أين ذهبنا . سنكون مشغولين هنا لا نعرف إلى متى . *(ابتسامة زائفة).*

شكراً ، بريغيدا .

تفكر:

كم قاسية أنا . مجلات الأشبينية ستنشر بأننا قضينا اليوم كله محتفلين بالزواج الفضي في الفراش . *(تكمش الكتفين)* لا يهمني أي شيء طالما أنها ليست الحقيقة . ماذا كنت أقول؟

خارج الشخصية تسأل الجمهور:

هل هناك من يتذكر ما كنت أقوله؟

أجوبة الجمهور تسمح لها باستعادة خيط المونولوج، لكن قبلها تقول لذلك الذي يساعدها في التذكر:

ألف شكر ، ولكن في النهاية هو زوجي ، وأن هذه القضية فقط قضيتي وقضيته هو ، ولا أحد يزج نفسه فيها . سامحوني ها؟

تصبّ لنفسها قطرة. تأخذ بعض الشيء. عند نهاية تفكير قصير تتوجه إلى الزوج:

حسناً : الآن كل شيء مياه جارية . انتهى . أمك الاحتياطية ، التي كانت تدفئ لك الجوارب قبل النوم لكي لا تموت بسبب برودة الأقدام ، التي كانت تقص لك الأظافر بمقصات التطريز ، والتي كانت تُلقي عليك قطعة رقيقة مبودرة لتضعها بين الفخذين كي تحميك من القيح والتي تحملتها بفضيلة قوية في قيء سكرك وأصواتك الخارجة تحت اللحاف ، هذا حلّ ما كان يجب حلّه منذ اليوم الأول : أنني ذاهبة من أجل التفاهة .

انتهت من أخذ القطرة للتو :

ان كنت لا تعرف ، بأننا يوم الثالث من أغسطس سنُكمل سنتين دون أن ننام مع بعض . السابق ، عندما انتهى عام ، تلفنت من لوس أنجلس دون أي باعث ، وأنا فهمته كما لو كان إشارة للاحتفال

السنوي . لكنك هذا العام ، بقيت في الفراش ، قرأت حتى ساعة متأخرة من الليل ، وأنا أقلب مجلات قديمة ، دون قراءة ، منتظرة إشارة ما . لا شيء .

لم أفكر بإغرائك ، واضح ، ولكن ما افتقدت قوله . سأظل مفتقدة له . فعند نهاية سنتين من التوبة تعترف لي على الأقل بأنني محقة في أن أكون مستاءة لأنك في جنون الفراش ناديتني باسم واحدة أخرى : (الذي بالتأكيد لم يكن اسمها ، ولا أتذكر حتى لمن) . أعرف جيداً بأن كل واحد في العالم عنده شخص آخر يفكر به في هذه اللحظة . من ليس عنده؟ أنا نفسي عندي ، بالرغم من أنني لم أشرّفك ذات يوم بالحديث عنه . لكني كنت أحبك دائماً بعنفوان كي لا أخطئ بالاسم !

أعتقد أنه كان أكثر معقولاً لو تحدثنا في نفس الليلة بما حدث . لكن لا ، في هذا البيت ليس بالاماكن الحديث عن المشكلات المتعلقة بما تحت الحزام . إنها أماكن محرمة . لهذا نمت مواجهاً للحائط وعاقبتني

بالإمتناع . حتى اليوم . ستتان وثمانية عشر يوماً .
لكن اليوم ينتهي العد . انتهى .

تغيير

عندما كنت أستعد لقول الحقائق ، كنت أخاف دائماً من رد فعل متوحش منك . منذ أن جئت إلى هذا البيت في المرة الأولى . *(تفكير طويل)* حسناً ، لقد قيل وكفى . القضية هي أن أمك اتصلت بي دون أن تعرف أنت بذلك ، بعد ولادة ابنك بقليل . في الأول بدا لي الأمر عدم إخلاص ، لكن بعد ذلك فكرت بأنه ربما كان أحسن لك وهو في النهاية سيكون أفضل للطفل ، وهذا ما شجعني على أن آتي . من الصعب الآن تخيل أية قيمة تنقص لمن يدخل هذه الدار ماشياً على أطراف أقدامه لأنني كنت أعتقد أنه لا يمكن المشي على السجادة ، ذلك لأن قبو المدخل كان من ذهب حقيقي ، بأن الأفاريز والتيجان كانت مصنوعة من ذهب ، بأن كل ما لمع كان من ذهب . الشجاعة التي كنت أحتاجها للتفاهم معها ، جعلتني دائماً مثل

عريف ، شيخ ينصاع لقوانينه الذاتية فقط .

المشهد يعتم عندما تبدأ ذكرى الحماة. تبقى فقط رزمة من النور قوية جداً حيث نرى العجوز الارستقراطية في الأرجوحة الفيّنية، مثلما ستصفها غارسيلا، بمطواة نعامة، تصب الشاي، .. الخ، لكن بلمسات خفيفة طبعاً، على مستوى آخر.

سأتبعها حتى القبر مثلما تبعتها تلك الظهيرة تحت مظلة الشرفة : غارقة بمسحوق الزينة أكثر من واحدة يابانية في أرجوحة قصب ، لابسة خيطاً أبيض بعقد الألماس ذي الست عُقد ، وبمطواة من ريش النعام التي مازلنا نمنحها على طول السنين للملكات الجمال . أول شيء فعلتّه تلك الجريئة جداً هو اخباري بأن الخطأ في كلامي لا يعود إلى القدر إنما له علاقة بالإهمال . سألتني إذا ما كنت أرغب في كوب من الشاي ، وقلت لها كلا ، تصوّر ، إذا كان الأمر الوحيد الذي أعرفه عن الشاي هو أنها كانت تصنعه لي عندما كنت طفلة ضد الحمى . لكنها كانت لي بكل

الأشكال . «آي ، ابنتي» ، قالت لي . «ينقصك الكثير لكي تتعلمي» . أدهشني بأنها كانت أكثر شباباً من أن يتخيلها المرء جدةً لابنك ، مستقيمة ورشيقة ، وجميلة جداً ، مع تلك الأهداب النصف حالمة والتي بإمكانها بعث الهواء أكثر مما تفعله «المروحة» . أعجبتني يداها الحزينتان مثل البارافين ، اللتان تريدان التحدث وحدهما : مثل يديك . لكن تُخيفني قوة إصرارهما .

لم أعرف مكاناً صامتاً بهذه الصورة أبداً . كان هناك طائر كناري في جهة ما ، وكل مرة إذا ما غنى كانت الزهور تتحرك . فجأة ، بينما كنا نتكلم ، سمعنا سُعالاً قبيحاً لأحدهم كان يختنق داخل الدار ، والصمت سيطر إلى درجة أن البحث شُل ، شُلت الظهيرة ، شُل العالم ، كل شيء ، وأنا شعرت بأنه ليس هناك هواء للتنفس . أمك ظلت تمسك الكوب بأطراف الأصابع حتى مرّ السعال ، وقالت بصوت منخفض (موثوق) : «إنه هو» ، بعدها ، عندما كنت أخرج من الدار ، أحدهم فتح شباكاً بغير قصد ،

ورأيته دون رغبة مني . كان شبحاً مستلقياً ، هزيلاً ، وأصفر ، وبلا شعرة واحدة على الجمجمة ، ولا سن واحد في الفم ، وبعيون ضخمة كما لو أنها لم تكن من هذا العالم . لكن حتى في ذلك الوضع كان من الممكن ملاحظة ثقل سلطته ، بأن كلمة واحدة فيه فقط تكفي لهلاكك !

أمك كانت متأكدة بأنه لن يتجاوز نهاية الأسبوع . لكنه ناداني . تحدث لي عنك ، الابن الوحيد ، الحفيد المقدر له أن يكون أيضاً الوحيد من عائلة بدت محكوماً عليها بأن لها ابناً واحداً كل جيل ، حتى ولادة امرأة واحدة وليتمجد اسم العائلة .

كنت مستعدة لكل شيء ، لجعل قراننا شرعياً ، لتزوير شهادة أصلي ، لنسلم أنفسنا مرة واحدة لفيحاء الزواج العائلي وهذه المحطة من القطارات بكل شيء كانت تملكه في داخلها ، بشرط واحد بأن تأتي لتبصق العفو العلني لوالدك المحتضر . كنت أتقزز عندما أقول لها : نعم ، نعم .

لكني أيدت نفسي بالحديث لها عنك بأنني أعرفك لدرجة كبيرة ، وبأني كنت أريد أن أطلب منك ذلك فقط من أجل إسعادها هي ، بالرغم من أنني كنت متأكدة بأنك لن تأتي . حتى ولو ميتاً . لحظتها قالت لي بشقة سببّت لي الغضب : «آي ، ابنتي ، أنت مازلت طرية جداً من أجل معرفة رجل» . أجبتها : «لن يأتي ، سنيورا ، صدقيني» . فأجابت هي : «سيأتي وسترين» .

تُشعل سيجارة.

حسناً ، نعم جئت .

ولم يكن بسببي . انها حقيقة لقد أزعجتك بالزعيق ليلة بطولها كي تحضر الدفن ، لأنني كنت واثقة من أن آتي بأية صورة . ولو أدى التفكير الآن إلى أنني فعلت ما هو صحيح ، بأنك لم تكن قد جئت بسبب سوء الحظ مرة ورجعت مرة أخرى . أي رعب ! كفاك

دفن الناس من أجل صليب عال لكي تنسى الجوع ، الإذلال ، قضيتك مع العالم . قصّوا لك خصلات شعر الملاك ، حلقوا ذقنك بالسكين ، صففوا شعرك كي ترقص التانغو ، والشعاع في الوسط ، ألبسوك بذلة من قماش إنكليزي ، بصدريّة وحمالات ، والخاتم المزود بشعار العائلة الذي ما خلعته أبداً . أكثر بؤساً : بأن ذلك لم يكن بسبب كنت قد قبلت أن ينادوك بلقب الماركيز ، مثل أبيك وجدك ، بالرغم من أن لا أحد يعرف مائة بالمائة بأن السيادة وُجدت حقاً ذات مرة . أية وقاحة ! تحولت إلى أحمق أمام الجميع ، وكما تقول الآن بملء فمك : متماثلاً مع جدك الأول الماركيز . حتى في إمساك بطنه المسلح مثل الإسمنت ، أنت ، الذي لم يملك أية مشاكل هناك ، إنما كل شيء على العكس : بطة !

ما الذي كنت أستطيع فعله أنا ، أكثر من ذلك كل جهدي بكل فضائلي لأجعل من نفسي صاحبة مقام عندك؟ إذن حسناً : أنا هنا عندك . في هذه المدينة حيث يمكن لأي من الناس أن يكون دكتوراً لمرة

واحدة ، أنا الوحيدة دكتورة أربع مرات . أربع مرات ، حلم أمي . بالإضافة إلى ذلك : تعلمت الفرنسية بسنتين ، الإنكليزية باثنتين أخريين مكسرة جداً ، يقيناً ، لكنك أنت قلت لي إن اللغة العالمية ليست الإنكليزية ، إنما الإنكليزية المكسرة . وشهادتا ماجستير : واحدة في الأدب الكلاسيكي بأطروحة حول الغيرة عند كاتولو ، والدرجة الأعلى في البلاغة والفصاحة ، بعد أن صلحت اللفظ بطريقة الإنسان البليغ ، أنشد بتكنيك البحر السداسي على مدى أربع ساعات وكأن حجارة في الفم (***تُدخل السبابة في الفم، وتتحدث***): كويد ، أوبي ، كويباس أوكسيليس ، كور ، كومودو ، كواندو؟

من أجل أن أنتقل إلى هذه الدار فقدت ثقة صديقاتي في المدرسة ، الوحيدات اللواتي كن عندي ، ولم أملك واحدة تُغنيني مثل صديقاتك هنا . انتهيت إلى ما يشبه قبراً لنساء وحيدات ، تشابههنّ الوحيد معي هو أنهن لا يعرفن مائة بالمائة أين أزواجهن . لكني كنت سعيدة لأني لم أكن أجد

شيئاً أرغبه . كنت أذهب بدونك إلى الحفلات الموسيقية ، إلى السينما ، إلى الأسواق الخيرية . لجأت إلى جلسات رجالي من رجال الأدب الذين كرموني بأبياتهم دون ذل اشتهائي في الفراش . تصور . ما كان لابد لي أن أغيره لكي لا أكون صغيرة . أنت وجدت حلاً للمسألة بسهولة قائلاً بين الجد والهزل بأن وضع الماركيزة استحوذ عليّ ، بأني بدلت حبك بحب ابنك ، بأن الفراش لم يكن يهمني للنوم فقط ، بل أسوأ أكثر ، لكي أتصنع النوم ، بأنني باشارة المرور الحمراء ، مثلما تقول أنت ، بأنني أرقد في البانيو حتى يطمرك النوم ، وما لا أعرفه ، عندما تكون الحقيقة هي أنك تعود دائماً من الشارع بالغرسة المنطفية (رجل مسترخي) . تماماً : بأن بين الطراوات والنضج ضاع منا الوقت دون أن نعي ذلك : زاز ! عشرون عاماً .

من هنا وصاعداً، ربما حتى عاصفة الثلج، ستعمل غارسيبلا عرضاً كاملاً للمودة بينما تحاول أن تقرر اي ثوب ستلبسه في الحفل. العدد، الوقت، وشكل التغييرات أمام مرآة مُخيلة يُقررها المخرج توافقاً مع مقياسه، دون التفكير بانها

يجب أن تكون ملابس حفلة. يجب أن تكون لحقب زمنية مختلفة ولموديلات متنوعة، على هامش زمن عرض المسرحية، وبتوافق أكثر مع التواصل الدرامي ووضع نفسية غارسييلا.

الآن عندك الوقاحة لتقول لي إنه كان ذنبي أن أتعلم اللاتينية . أي هذر ! الذنب ذنبي ، بالتأكيد ، لكن ليس بسبب أية لاتينية ولا بسبب أي طفل ملفوف ، إنما ليس بوضعك في مكانك منذ البداية . هل تعرف من كانت أول من لامتني؟ أمك . ذات ظهيرة ، دون أن يخطر بذهنها بأنني أعرف ، قالت لي : «ما هو ليس واضحاً لي : بالنسبة لي أنك كنت ضعيفة لدرجة أنك سمحت لنفسك بمثل سرية عشيقة البوديفيل . لم أرغب بأن أعطيها فرحة النصر . هكذا سألتها : «وهل تحققت حضرتك؟» أجابتني متوترة : «واضح ، هذه الأشياء لا يُثبتها أحد» . «إذن أنا لا أعتقد بأنها حقيقة» ، قلت لها أنا . «كتلك لو كانت ، واجبي أن أصدق زوجي أكثر مما أصدق الناس» . حينها ابتسمت لي للمرة الأولى بانفعال بسيط ،

وقالت لي : «كوني حذرة ، ابنتي ، أنت تبدلين الفخر بالكرامة ، وهذا يجلب النحس لهكذا أمور» .

كنت أعرف هذا الضجيج قبلها بكثير . في الواقع ، منذ أن رأيت عزيزتك للمرة الأولى في مطعم دون سانجو ، كان عندي الهاجس بما قد حدث بينكما ، شيء ما كان يحدث ، أو كان سيحدث . أتعتقد أنني لا أتذكر؟ كلا أعرف : كان بعد الحفلة الموسيقية لروبينشتاين في مسرح الفنون الجميلة . قدمها لنا جيلان بيدراسا (أو على الأقل أنا من صنعت نفسي الصامتة) وأنا همست لك في أذنك ، لكي لا يسمع الآخرون : «لها وجه عاهرة لا تستطيع تحمله» . كيف حال العين السريرية؟ العجوز روبيو ، في الثمانين تقريباً وبعد كل ليالي شوبين المكررة ، شرب أربع زجاجات شمبانيا في الثانية فجراً ، وأكل تورتيا السجق بالفلفل والبصل ، بهذا العمر . كان مرحاً بقصصه البولاكية ، مثلما هو دائماً ، لكنك لم تقص عليه ولا قصة واحدة ، لأنك لم تملك كرسياً لعجيزتك محاولاً النظر إلى الخلف . كان من غير

المريح رؤيتك حتى إنني قلت لك : حاول أن تهدأ ، لقد ذهبت» . لم تنفجر ، واضح ، لأن عندك علبة البودرة رطبة دائماً ، لكن رقبتك رقبة الديك الأنيق كانت تنبض بغضب : دليل بأن هناك شيئاً ما وقع على نخاعك . أأتحدث جيداً؟

تنتظر الجواب الذي لم يصل.

مغتاضة فجأة

قصّات بويرتوز . لأنني لم أعرف ولماذا كان عليّ أن أعرف ، لم يكن عندي السبب لمعرفة من كانت هي ، ولا بأنها كانت تذهب مع كل شخص إلى الفراش مع كل من يعطيها الأدوار إحساناً في مسارح الأيتام . ممثلة جيدة ، هذا صحيح ، حتى إنني لا أستطيع نكران ذلك . لكن بسبب ذلك تصبح سيدة وسنيورا لهذا البيت ، نعم ، نعم . لا أريد بعد رؤية السنيورا الجديدة لـ خاريز دي لابيرا ، تصور ! ، أسماء عائلية مدهشة لواحدة بأسنان مزيفة مصنوعة من أربعة وعشرين

قيراطاً والتي تضحك وحدها عندما تشاء ، مع ذلك الفزع الذي ليس له دعائم يستند عليها ، والأنيقة بأناقة شغالة ، بالملابس المستعملة التي أفكر برميها لها ذات يوم في الزبالة ، فقط المزودة بثنيات الأربعة ونصف لكي لا تنفجر مؤخرتها .

أكثر من ذلك ، أنك منحت الزوج السبب الشرعي لكي يتزوج منها ، تمنحه راتب مدير معمل للسكر لكي يُطيق المهزلة ، لكي يكون الأب لأبنائك ، أية مهزلة ! كل هذا هو فولكلور محلي . نعم سوف أعرفه أنا ، أن اسمع القول نفسه عني لأنني أنا وليس أنت مَنْ حملها إلى مائدتنا بعد المسرح (دائماً مع رجل مختلف ، واضح) ، وكنت أنا وليس أنت من تجرأ على دعوتها إلى البيت في المرة الأولى ، كنت أنا وليس أنت من عمل الزواج ، ومن أكمل لها العرس بنقود خام . اعتقدت بأنها طريقة ذكية لإيصالها إلى النتيجة ، وظهر بأن النتيجة لم تكن بالنسبة لها مهمة كما هي بالنسبة لك . (*تقلب شيئاً صلباً بالخشبات*): صمت حديدي .

تدخل الحمام دون إيقاف المونولوج الذي يستمر مسموعاً من الإطارات.

خلال أعوام طويلة كان عليّ أن أتحمل الوريقات التي كانوا يدسونها لي من تحت الباب أو من حاجز الريح بالأسرار الغامضة ، بتلميحات الزيارات ، بالمداعبة اللطيفة . المثيرة للانتباه ، الذي صنعوه بي ذات فجر لكي يخبروني بالعنوان المعروف حيث كنت تلتقيها . بالمقابل ، أعترف بأن الدليل الأول المنتهي الذي صار عندي أخذني بالمفاجأة ،و الأحد الذي دعوناها فيه للغذاء في لوس ترابيجيس قبل ما لا يقل عن سنتين . منذ المرة الأولى عندما ذهبت ، لا أعرف متى ، كنت قد حلفت ألا أرجع مرة أخرى : لا أحتمل خميرة عصير قصب السكر ولا طنين الزنابير الزرق ، وأقل منها الخدمة التي تسمح بها لعمالك البسطاء الذين يشتغلون عندك ويصنعون الأكل ويُصوتون للصفر (إشارة إلى حزب الاحرار) . لكنك ذات مرة اعترفت لي بفن شعوذتك ، والآن أعرف

لماذا : كان أمر القدر .

يُسمع صوت الماء في الحوض، وهي تعاود الظهور بعدها بلحظة.

كان أمراً لابد منه ! لأننا عندما وصلنا إلى لاس ترابيجيس ، وسط حشود أرداف عمالك البسطاء وضجيج الطاحونة ، وكان عليهم أن يُبعدوا عني الكلاب لكي لا تمزقني ، لأنها لم ترني قبلها أبداً ، على العكس فقد صنعت الكلاب حفلاً كبيراً ، كانت الكلاب تلعق أصابعها ، ثم تدحس نفسها بين سيقانها بالذيول الهائجة ، حتى إنهم في النهاية كان عليهم أن يكبلّوها لكي يكبحوا جنون حبها .

(بسخرية عالية): وحتى اللحظة بقيت عندي الشكوك . هل تعرف؟ لماذا يُكلف الكثير من الشغل عندما يذكر أحدهم بأن عنده عشيقة قبيحة على العكس من زوجته .

ماذا تريد؟ أن أهين نفسي واتبعك في الشوارع؟ أن أجعل من أدبائي يراقبون خطواتك؟ أن أزودك ببغاء مثيرة للضوضاء، أنا، التي تعرف، إذا كانت هناك لعنة في العالم، فهي النساء الثرثارات، اللواتي عن طريق ثرثرتهن طوال الأيام والليالي بكاملها، يستخرجن من أزواجهن الحق؟ كلا! هذا ما يريده كل الرجال، كلهم، بلا استثناء. يُسعدهم أن يُغار بسببهم. إذا سلم عليهم القس تاركاً في أيديهم رائحة الأخشاب الشرقية، يصلون إلى البيت متحرقين، ويضعون راحة اليد على الأنف، ويقولون، شمي، ولا يقولون شيئاً أكثر، لكي تتصور الواحدة أسوأ شيء، وتفعل ما هو مثير للسخرية وفضيحة بلا سبب.

في عمق المشهد يُسمع صوت ساكسفون منخفض ولكنه يتصاعد، ليكون بعدها قوياً ويتداخل مع الصوت.

يُسعدهم أن يتركوا في جيوبهم أرقام تلفونات، كُتبت معكوسة، بلا اسم، لكي تجدها الزوجات

عندما تغسل الملابس .

حانقة بسبب الساكسفون، تصرخ خارجة عن طوره:

تف ! دعيني أتكلم !

يتوقف الساكسفون تماماً. غارسييلا تتكلم باتجاه الغرفة في العمق.

دعـيني أتكلم ، يا آمـاليـا فلوريدا . أو . أنك لا تستسلمين ، لا تستريحين بسلام

تعمل استراحة، مصغية إلى أجوبة آماليا فلوريدا غير المسموعة:

ماذا تغني مرة أخرى؟ لا يستحق الكلام : هذا لا يصلح أن يكون حتى كرة للعب .

تسمع جواباً آخراً من الجارة، فترد بشعور من الإهانة:

(إلى الجمهور) هل رأيتم كم هي غليظة؟ بألاّ أتحدث بصوت عال لأن ذلك يمنعها من إعطاء الدروس .
(إلى الجارة): كلا : آماليا فلوريدا . هذه الدار لم تكن يوماً دارك ، ومنذ الغد أيضاً لن تكون داري . هكذا اذهبي إلى الجحيم واتركيني أتحدث مع زوجي بسلام .

بعد صمت قصير تتوقف الموسيقى، فتتنفس الصعداء مصحوبة بصوت لا يخلو من الرأفة:

مسكينة يتيمة !

تعاود المونولوج:

تفرحك الألغاز التي طالما تخترعها أنت ، من الطبيعي . ولكن اذا كانت حقائق ، فلن تعرف أين تلقي بثقلك . حينها تدخل البيت ، مثل الهارب ، وتذهب مباشرة إلى الحمام لتلقي على نفسك

صابونك الشخصي لكي لا يُلاحظ عليك ما حملته من الشارع ، لا تشعر بالسلام ولو للحظة واحدة ، تأكل كما لو كنت فوق غيمة ، ترتجف كل مرة عندما يرن التلفون . وليس أنت فقط ، إنما كل الرجال . عندما يرون إمرأة تحمل بوقها عند مسند الرمح لأي سبب كان ، ربما لأن هناك ما أيقظنا مبكراً ، أو ربما أيضاً لدينا سرنا الذي نحتفظ به ، لماذا لا؟ حينها ، يكفي أن تنظر واحدة لهم مباشرة في عيونهم لكي ترى موتهم من الرعب .

تنظر الى الزوج

دجاجات !

لم تفهم أبداً ، بأنه عندما تظهر امرأة ما صامتة ، فلا يجب حتى النظر إليها . أنت تفعل العكس : إنك تُرعب بشكل كبير ، حتى انك تصبح لطيفاً بصورة لم تحملها أبداً . بالمقابل ، لا شيء يجعلهم بهذه القوة غير الغيرة . لأن قمة الوقاحة ، هو ، أنه ليس هناك

أكثر غيرة من زوج غير مخلص . تصور ! . يقضون الظهيرة مع الأخرى ، ويعودون إلى البيت مجنونين لمعرفتهم مع من كنا نتكلم كل تلك الساعات التي كان التلفون فيها مشغولاً . وأنت أكثر من أي واحد . تخيل ! ، أنت الذي لم أسأله أبداً ، أين كان ، أين يذهب ، ولا في أية ساعة يرجع ، تذهب دون أن تقول إلى أين تذهب ، وبالمقابل ، ترجع من دسائسك طارحاً أسئلة على شكل مصائد ، تقص أكاذيب لكي تحصل على حقائق ، محاولاً أن تفهم بشكل عابر إلى أيهم أذهب لتناول الغذاء ، مع من ، وفي أية ساعة ، لكي تعرف أين تستطيع أن تذهب معها ، بحيث لا تصطدم بي .

كان يجب النظر إلى الرعب الذي سببه لك سماع أنني قد كنت مع ستة من أدبائي في نفس الوقت . أنا ! المروضة من قبل زوجي المتيم ببهجات العفة ! عليّ الشعور باشتعال الحمى التي أصابتك ، عندما أدخلوا في رأسك ، أنني نمت مع النابو (لقب أحدهم) . أي رعب ! كل الشكوك الذكية للإنسان ، موضوعة

بخدمة ما هو تافه .

تفكر للحظة، تبتسم بسوء نية، وتستانف بصوت آخر.

هل تريد أن تعرف الحقيقة؟ انها أسوأ مما حدثوك به ، بل مازالت أسوأ من خيالاتك المريضة .

فاصلة طويلة.

حسن :

لم - أنم - معه !

لم تنقصني الاستعدادات ولا الشجاعة ، إنما لأنه أيضاً اتضح أنّه يشبه الكل : دجاجة !

الخطأ كان خطئي منذ البداية ، لكن ليس عندي ما يجعلني أندم .إذا كان عليّ أن افعله مرة أخرى ، سأفعله . كان بسبب الفترة التي كنا نعيش فيها ،

بسبب ذلك الصليب وهذه اللوحة (كما كانت تقول أمي) ، الحقيقة في الأخيرات ، وذات يوم عندما لم يبق عندنا حتى حليب للطفل ، وضعت ثوبي ذي الوردات الحمر ، وذهبت إلى النانو حتى دون أن أعرفه ، دون أن أطلب منه المقابلة . منذ دخولي في المكتب دهنني من الرأس حتى القدمين بنظرة شحم الخنزير حتى تركني بلا حيلة . أي نوع من الناس ! حسناً ، فكرت أنا ، الأمر هذا يبدأ جيداً . هكذا نفضت له كل السخافة ، وفي النهاية قلت له دون لف ودوران بأنني عندي الشجاعة لكي أطلب منه أن يعطيك وظيفة .

لم أر في حياتي ولا أعتقد أنني سأعود وأرى رجلاً بهذه الغلاظة . أجابني مباشرة بأنه من أجل امرأة مثلي على استعداد لكي يجعل نفسه يُفترس من قبل تمساح (كما لو كان قد قرأ شكسبير !) ، واقترح عليّ أن أعود الثلاثاء القادم بعد ساعات إغلاق المكتب ، وحيدة وعن طريق مصعد الخدم ، والأربعاء صباحاً ستكون عندك الوظيفة ، هكذا كان عليّ أن أقتله

ضرباً بالعصا مثل أبيك . أعطاني كل أنواع ردود الفعل . بأنه رجل مثلك يفهم بأن الحب الحر طريقة حضارية لدفع العالم . بأنه عندما كنتما صبيين أنت وهو وكل عصبة الصغار مفرطين في التزين بجمال البحر ، كنتم تذهبون إلى بارك البالغين بسيارة والديه وكنتم تستبدلون الصديقات مثل خلط الورق في الظلام ، والكل كان سعيداً هن وأنتم .

وتركته يقول أكثر . الثلاثاء عند السادسة عصراً صعدت بمصعد الخدمة ، ضربت على الزجاج ثلاث مرات ، مثلما قال لي هو ، وفتح لي هو ذاته . (**تضحك منتشية**)

كدت أتقيأ على نفسي من الخوف !

بقي عليّ فقط ان أسجد وأطلب منه الصفح ، وكأنه قد حصل له نفس الشيء بشكل شنيع مشابه ، على العكس : كم يتمنى لو أن الله كان قد أعطاه إمرأة مثلي ، مستعدة لجر نفسها حتى خشبة الإعدام لكي تساعد زوجها . ويعد الكثير من الوصف والرثاء قال

لي هذا لا يعني أنه يندم على كلمته ، حسناً اليوم التالي عندك الوظيفة وفقاً لما تستحقه ومع شرف اسم عائلتك .

(تبتسم) آي ، يا إلهي ، ما كان عليّ أن أسمع من اليتيم المسكين ! أنني ارتعبت من أن ينهار عندما قلت له إن قضية أن يكون إنساناً تختلف تماماً عن قضية إذلال إمرأة منكراً عليها قبول الدنس ، بعد حملها على الذهاب إلى أبعد ما يكون جارةً الشرف . هكذا قلت له ، لكي أنتهي من قتله مرة أخرى ، بأن واجبه كرجل ليس فقط الدفع إنما الحصول على اجره . *(تُشرع بترتيب سريع ممثلة ما تقوله)* : وبنفس الأشياء بدأت بخلع بدلتي ذات الورود ، جواربي الفاضحات بالنايلون ، مساند الولادة الحديثة ، والمسكين لم يخطر في ذهنه شيء آخر غير تغطيتي بمعطف المائدة قبل أن أنتهي وأبقى بجلدي . الآن ، الاثنان نصنع وجهي الحبشيين كل مرة نلتقي هناك بجسم نصف ميت ، عاملاً فزاعة في الكرسي المتحرك ، لكنه يعرف بأنني أعرف ، وليس هناك دواء لمحو الذكريات السيئة . لكن

تلك المرة ، منذ الآن ، متى؟ اثنان وعشرون ، ثلاثة وعشرون عاماً ، أية سعادة يمنحني ! أية سعادة أيها النذل !

بشكل ما كان هكذا ، وليس قبل خمس سنوات ، عندما جئت مستعداً للتشريح لأنك سمعت المتاع المتأخر والقول السيء .

ماكرة:

على العكس ، من ذلك كان عليك أن تطلق عليه الرصاص كان فلورو موراليس . ليس بسببه ، لأن في كل شيء هو أمير ، إنما بسببي .

أنت نفسك زرته في باريس ، عندما قلت لي بلا حذر : «الذي هنا ، هو المسكين فلورو موراليس ، وحيداً ، لا أحد يخرج معه» . كنت أحاول التكهن بأنه كان من كنت تبحث عنه دون أن أقول لك ذلك مباشرة ، وأنت استمريت في ميلك : يُسعدني دعوته

إلى حفلة السبت الموسيقية إن لم يكن لأننا نملك هذا العشاء في بركسيل مع عائلة رومبيلمايير ، هؤلاء الذين يثيرون قرفك بصورة كبيرة ، صح؟ ، بنفس الصورة تثير الملل فيك بروكسيل» . من الواضح بأن بروكسيل تثير مللي ، بروكسيل وعائلة روبيلمايير ، نفس الشيء فأنت تبعث فيّ الملل عندما تريد أن تنال شيئاً ما ولا تجرؤ على قوله ، ومثل كل مرة يبعث فيّ الملل أتعشى متحدثة لغة أخرى ، بالأصابع والرجلين مُجهدة بكل طاقتي لخوفي أن أتحدث بصورة سيئة . هكذا لم يكن واجبي أن أقوم بكل تضحية من أجل أن أصل حيث تريد ، وقلت لك أن تذهب وحدك إلى بروكسيل . «قلت إنني أبرد مع وقت الضفادع هذا ، وأنا سأذهب إلى الكونسيرت مع المسكين فلورو ، الذي ندين له بأكثر من دعوة» . هل أقول الصحيح؟

حسناً . إذن الآن أدرك الأمر بوضوح : الذي كان في بروكسيل ، كان ؛ هي ، مسافرة في الطائرة اللاحقة خلفنا . دعوتها إلى العشاء لكي تراها ، لأنك تعرف أنني لن أعود إلى بروكسيل بعد المرة الأولى ،

التي كانت مرعبة ، وأرغب فيها العشاء مع أحدهم بالفرنسية . بشكل ما أنت تركتني في أذرع فلورو موراليس مع الشيخ الأبدي : «تعرفين أنه ليس بشخص خطر : إنه من طينة أخرى» . *(مستهزئة):* نعم ، نعم .

كانت المرة الأولى التي كنا فيها في باريس ، وكنت أبدو مثل دجاجة رومية غير مليحة ، مدمنة على تقليد ما تفعله أنت ، أو ما يفعله الآخرون ، لكي لا يلاحظ أحد عادات أهالي الأقاليم السيئة . لكن مع فلورو موراليس لم أقض يوم سبت شرعي سعيد ، إنما توصلت إلى تحقيق أشياء كثيرة كنت أفتقدها عندك ، وغيّرت حياتي .

لا أريد أن أكون غير عادلة . أعترف دائماً بأن لا أحد افتداني أكثر منك . حتى ولا شهادات الدكتوراه الأربع ولا شهادتا الماجستير . عندما انتقلنا إلى هذه الدار لم أعرف التمييز بين منفضة السجائر وعلب رماد الموتى . وأنت كنت تريني العالم مملوءاً بحلاوة

كانت تبدو بسبب الحب فقط ، بالرغم من أنني الآن أعرف أنها لم تكن أكثر من سم .

وبموسيقى ، دون كلام : أخرجتني من أنغام الاكورديون البليدة لرقصات المرينغة لسانت دومينغو ، ومن رقصات بويرتوريكو التي كانت ترعد في ليالي النقيع ، وجَعَلتني أجرب سم باخ ، بتهوفن ، برامز ، بارتوك ، وواضح ، سم البيتلز ، الخمس حيوات التي لا أستطيع العيش بعدها . جلعتني أفهم ما قاله ديبوسي ، بأن ما هو أكثر صعوبة من ضرب البيانو هو نسيان أن له مطارق . أو ما قاله سترافينسكي ، بأن فيفالدي لَحَّن الكونشيرتو ذاته خمس عشر مرة .

لكن ما أطلعتني عليه فلورو موراليس في ليلة واحدة كان شيئاً ينقصني لكي أتذوق أحسن من كل ما أطلعتني عليه أنت : بأنه يجب عدم الوثوق ، مبدئياً ، بالأشياء التي تجعلنا سعداء . التعلم أن نضحك منها ؛ إن لا ، فأنها ستنتهي ضاحكةً علينا .

أعـــرف أنـك تفـكر . الـشيء نفـســـه دائمـــاً : أنه متحذلق . *(تمسك الكتفين)*: هاً ! أنا أيضاً . **(تضحك)** هل تعرف مـاذا قال لي ذلك الأكثر بربرية؟ بأن ليس هناك مـوتزارت ، لأنه عندما يكون سيئاً فـانه يشبه هايدن ، وعندما يكون جيداً فأنه يشبه بيتهوفن .

كل هـذا ، إذا أردت ، طيش صـــالون . لكن الـشيء الوحيد الذي لن أنساه هو طريقته بمصاحبتي . جعلني أشـعر بأن كل مـا أقوله هو الأهم في العـالم ، جعلني أشـعر بأن أي شـيء أفعله كـان درساً له . كنت أقتنع بمرور السـاعـات كم ستكون الحياة سـهلة معـه . أكثر سـهولة منهـا مـعك ، بلا شك ، بـالرغم من أنهـا أقل متعة ربما .

في الوقت الذي تحدثه تبدأ بالإظلام

كـانت ليلة سـاحرة . لدرجـة أنني للحظة خفت من اليـوم الآتي ، عندمـا ترجع من بـروكسيل ، سـأشـعـر

بجزيرة قاحلة معك .

عندما خرجنا للعشاء بعد الكونسيرت ، بدأت الشوارع بتغطية نفسها بزبد مضيء . تأخرت قليلاً حتى فهمت بأنها كانت تُثلج ، لأنها كانت المرة الأولى التي أراها فيها تُثلج .

في العمق تضيء صورة باريس، وتبدأ في الثلج

في المشهد. هي تلبس معطفاً مخّططاً من الجلد وقبعة من سنوات العشرين.

نزع هو الأحذية ، ربطها بقيطانها وعلقها حول الرقبة . «ستأخذ التهاب ذات الرئة» ، قلت له . «أي هذر» ، قال لي هو «الثلج دافئ» . حينها فعلت نفس الشيء .

تخلع الأحذية، في عاصفة ثلج شديدة.

أي جمال ! *(سعيدة)* ثلج فوق القبب المذهبة ، فوق المراكب المضيئة التي كانت تمر تحت الجسور ، ثلج من أجله ومن أجلي في كل باريس ، ثلج للاثنين وحدهما من دون العالم كله .

تبدأ في غناء«La Complainte de la Butte الشكوى من الجمال»، يصاحبها أوكورديون في نفس الوقت ترقص تحت الثلج، مجنونة من السعادة، بينما تشرع بخلع ثياب الشتاء وتبقى بثوبها المتواضع من الأول.

الثلج ينتشر حتى صالة المسرح. الموسيقى تسيطر على كل جو المسرح.

تظهر الحبال بالغسيل المشرور من أجل أن تجف تحت الثلج.

عندما ينتهي الثلج، تجلس غارسييلا، لابسة ملابس فقيرة، خائرة القوى فوق مصطبة صغيرة، تحت أسلاك الملابس، وتُخرج صوتاً لا عزاء له. أنها الحقيقة المرة.

عندما وصلنا إلى الفندق ، منهكين من التمتع بالثلج ، خطر بذهني فجأة : بأنه سيطلب مني أن أدعوه كي يصعد إلى غرفتي . بأن أعرض عليه كأساً ما ، بأن أريه البوم الصور ، أو أي شيء ، أية حيلة من هذه الأمور التي يخترعها الرجال من أجل الصعود إلى الغرف . وحينها فكرت . لابد أن يكون هذا قدراً . لا يجب أن يكون كما يحصل للذين هم على عجلة من أمرهم ، لا يجب أن يكون لأولئك الذين يسألون واحدة إذا كانت ترغب ويتقيأون بمواجهة الحائط وينامون مباشرة . أي هذر ! أنني متأكدة بأنه لم يكن يشبه أحداً . بالإضافة إلى ذلك ، منذ البداية خطر في ذهني بأنه لم يكن من الطينة الأخرى ، من أولئك الذين يقولون دائماً الشيء نفسه ذلك بأنهم مختلفون . على العكس : إنه كله رجل واحد . حتى إنه لم يقترح عليّ الصعود إلى الغرفة . ودعني عند الباب بقبلات باردة على الوجنتين ، لم أشعر في حياتي في الوحدة أبداً مثلما شعرت عندما ذهب . في اليوم الثاني أرسل لي مع الفطور سلة من الزهور لم يسعها الباب ، وبطاقة صغيرة منه تقول :

يالأسفي ! حينها عرفت ما لم أشأ معرفته أبداً : بأن هناك لحظة في الحياة تستطيع فيها أن تنام إمرأة متزوجة مع رجل آخر دون أن ينقص إخلاصها .

بصورة غير مدركة تقريباً، يبدأ تمرين على الساكسفون في الغرفة المجاورة. هو نفسه دائماً. بدت غارسييلا مذهولة في الوقت الذي تعلو فيه قوة الموسيقى.

تزفر:

آي ، آماليا فلوريدا ، ليس في الواقع من يعاقبني دائماً غيرك !

الساكسفون يتوقف فجاة. تنهض غارسييلا حازمة.

الآن ينتهي كل شيء كل الماضي في الهراء !

تسحب الملابس الجافة من الأسلاك بضربات، وتبدأ برميها

خارج المكان.

يبدأ النهار بالطلوع. في النهاية ترمي نفسها على الأريكة، حتى يفرغ المكان كله لنهار جلي، بلوحة كبيرة من الزيت للماركيز الأول على جدار خلفية المسرح.

الزوج يستمر مطالعاً الجريدة.

لا أريد أن أعرف قصصاً بطولية مخترعة ، ولا لوحات مزيفة لأجداد قدماء مرسومة بأيدي بلازكية مزيفة ، ولا حقائب أصوات انتخابية مشتراة لسياسيين محتالين . كنت أعزي نفسي لأعوام طويلة بوهم دار هادئة بمواجهة البحر ، لكي أذهب للعيش مع رجالٍ الأدب أصحابي بعيداً عن الرعب . لكن الآن لا : لأنه سيكون أحد أشكال الاستمرار مع الماضي ، ولا أريد أن أعرف شيئاً آخر عن هذا العالم أو عن هذا الزمن ، لا أريد أن يذكرني أحد . ولا حتى ابني ، الذي هو ابنك . هل سمعتني؟ بالذات ليس هو .

تغيير.

يوم الاثنين اتصلت به بحجة سؤاله ، بأية طائرة سيصل ، لأنني لم أحتمل أكثر جزع الحديث معه عن وضعي . كانت هناك رسالة الرد المسجل في جهاز التلفون تقول يُمكن الاتصال به تحت رقم آخر . إتصلت هناك ، في السابعة صباحاً ، وأجابتني إحداهن بصوت يُكشف أنه لشقراء عارية . قالت لي نعم ، بأن ابنك كان نائماً معها ، لكنه أعطى أمراً بعدم إيقاظه حتى التاسعة . قلت لها إن الأمر يختلف لأنه من طرف أمه ، وأجابتني بطريقة سيئة بأنه من غير الممكن ، لأن ابنك يتيم الأب والأم .

تنظر إلى ساعتها في المعصم ، وتستعجل :

وفوقها يسرع الوقت .

تخرج راكضة. يُسمع صوت الدوش. غارسيلا ترفع الصوت لتستانف

المونولوج من البانيو بصوت أكثر ألفة:

(تزيد قوة الصوت) حسناً . اتصلت به في منتصف النهار وسألته لماذا كان يشعر باليتم ، وشرح لي بكل كلماته ذلك أنه كان يشعر كما لو كنت أنت وأنا ميتين منذ الأبد . هكذا ، هكذا بصوت واضح ، دون رغبة بالإهانة . يعلم الله ما الذي كان يريد قوله ! بعدها ، بشكل عابر أيضاً ، قال لي : تصوري ماما ، أي ألم ، بأني لن أستطيع أحضر مناسبة زواجك الفضي لأنني يجب أن أكون هذا المساء في شيكاغو ، من أجل زواج آغاثا .

سألته من هي أغاثا ، قال لي انها خطيبته التي أجابت عليّ في التلفون في الصباح ، وبأنها ستذهب للزواج من واحد آخر لسنتين أو ثلاث لأنهما كانا مخطوبين من قبل .

يتوقف الدوش. غارسييلا برداء منزلي خارجة من البانيو

بعد انتهائها من تجفيف الشعر بمجفف كهربائي، وتبدأ بلبس بدلة الحفلة بشكل نهائي.

بالرغم من ذلك ، كانت لهفتي من القوة بحيث أنني حدثته في النهاية : بأنه بعد تحليل جدي ومؤثر ، ليس لساعة إنما لسنوات طويلة ، كنت قد انتهيت إلى حل : أن أذهب للعيش وحيدة . شرحت له البواعث بأكثر ما استطعت ، بأن يفهم أنه عندما ينفصل شخصان اثنان يكون الاثنان على حق . كان عندي الشعور بأنه كان يسمعني بشكل عابر ، لكنه لم يقاطعني حتى وصلت إلى النهاية ، وحينها قال لي : «يبدو لي الأمر واضح جداً يا أمي : إتركي لي رقم تلفون دارك الجديدة ، لكي أتصل بك عندما أرجع من شيكاغو» .

يعود الشكل البيضوي المضيء للظهور عند مقدمة المنظر. عندما تنتهي من لبسها، تحمل غارسييلا صندوقاً من الحلي إلى مائدة الزينة المتخيلة وتجلس لتُمَكيّج نفسها على الأريكة الصغيرة التي تضعها أمام المرآة. حينها لا تجلس بمواجهة

زوجها إنما باتجاه خيالها ذاته.

بينما تتمكيّج، يدخل خادم بزي، بنصف خيال، على أطراف الأصابع تقريباً، ويبدأ بوضع مزهريات الزهور في الغرفة. منذ الآن حتى النهاية يدخل لمرات متعددة بزينة من الورود تنتهي بالسيطرة على عمق المشهد.

في لحظة معينة، يبدأ فضاء المسرح بالتشبع بشذى نامٍ للزهور.

إن لم يكن على الأقل أن يبقى لك العزاء لأن تنتهي مع عارٍ تاريخي . لكن ليس هكذا . الجهد الوحيد الذي تفعله للانتهاء من هذا القدر هو الاستيقاظ كل الأيام عند العاشرة صباحاً . لكن لا يُمكن الحديث عن هذا أيضاً ، طبعاً . مو ـ ضوع ـ آ ـ خر ـ مم ـ نو ـ ع .

من يهتم بك؟ تقضي حياتك مخرجاً جسمك على

الحقيقة (تقلده) ، «إني يا حبي ، لا تُعكري اليوم» ، «خذ ماء الورد ، واحلم مع الملائكة» ، وفجأة ، تف !

تعمل إشارة لعنة وتقذف صحناً إلى الحائط، ويتكرر سماع اصطدام طقم محطم، سيستمر مثل خلفية حتى نهاية المقطع.

تفقد للمرة الأولى مقود العربة بسبب واحدة متقدمة بالعمر بثمانية وأربعين عاماً ، دون سبب عاجل ، وترجع مثل حطام طقم صحون ملكي . إذا لم أكن فعلت ما فعلت من إجل إفزاعك فستكون النتيجة معاكسة . كان الأمر بالنسبة لي مثل برق سريع للتحرر في وسط الجلبة ، على أمل أن تفجر الغضب ذاك سيفتح لنا ثلماً من أجل حميمية جديدة . لكننا رأينا بأنه لم ينفع . كان مجرد بهاء نهاية مهزلة صبُر عليها سنينَ طويلة : زجاج سريع الإنكسار .

تُفرغ الصندوق على الطاولة: مجموعة مدهشة ومتنوعة

مثل كنز قرصان. تختار طقماً من الألماس، بأقراطه وأساوره، وتضعه أمام المرآة.

هذه مثل فرشاة أسناني : شخصية وغير قابلة للتحويل . جائزة للصمود الفيزيائي .

كانت تظهر بين يديها الأكثر فتنة.

وهذه من الزواج العائلي . العقد بالبلاتين والذهب ، جواهر وألماس ، التي افتتحتها الماركيزة الأولى في زواجها ، ولها (١٨) من العمر . ***(تجربها)*** لم يجرؤ على استعمالها آنذاك ، لأن من تستطيع لبسها فقط هي البنت الكبرى لكل جيل في زواجها ، ولم تولد أية واحدة أبداً . ***(أخرى)*** سوار بإحدى عشرة زُمُرّدة ***(تضعه حول الرقبة الذي يُمكن استعماله مثل قلادة. (اخرى)*** حلقة خطوبة : ياقوت أزرق بألماس Vieux Bresil. ***(تجربه)*** أستطيع لبسه أنا ، لكننا لم نمنح الوقت لأنفسنا لكي نبقى مخطوبين . ***(اخرى)*** وهذا هو خيط من ألماس ذو ست

عقد الذي لم تخلعه أمك حتى وهي تموت . *(تنزع كل شيء، تزفر)* في النهاية : الخروج من امبراطورية قراصنة .

تختفي المرآة. ترمي غارسيلا المجوهرات كلها في الصندوق، وتدخل في البانيو، قائلة:

لو أعرف بأنه يُمكن إجراء مزاد عليها في المزاد من أجل قضية خيرية ، لوافقت ! لكن تركها هنا لتفوز بها أي سافلة على الاثنين وخمسة (دقة ونص) دون أن تعرق؟ أي هذر !

يُسمع عند نهاية صمت طويل انسياب دورة المياه. غارسيلا تدخل بالصندوق الفارغ، الذي ترميه دون تفكير في صندوق القمامة.

إهدأ . لن يؤدي بك هذا إلى الإفلاس أكثر مما أنت عليه .

وأنا ، طبعاً ، لن أكفلك ولو بفلس واحد أكثر مما فعلت . اذهب مثلما أتيت ، بيد من وراء وبيد من أمام ، دون كلاب تنبح خلفي . لكن هذه النذلة لن تتبختر بوهم أني أذهب بسببها هي ! تصور ! على العكس يجب أن أشكرها لأنها خلصتني من وهم كريه ، وهم الإصرار على تتبع قدر مُقدّم . اذهب من أجلي أنا ، وليس بسبب شخص آخر ، شبعانة من حظ مسكين منحني كل شيء إلا الحب .

تصب لنفسها شيئاً من الشراب وتشربه على شكل رشفات صغيرة.

لم يكن ذلك هو الذي كنت أبحث عنه عندما هربت معك ، ولا ما كنت أنتظره كل هذه السنين في هذه الدار الغريبة ، وسأذهب أبحث عنه حتى النفس الأخير ، حيث ما يكون ومثلما يكون ، حتى لو سقطت السماء فوقي . إذا كان الزواج لا يستطيع أن يعطيني أكثر من الشرف والأمان ، فليذهب

للجحيم : هناك أشكال أخرى .

الأزواج المدعوون بملابس المراسيم، يبدأون في الدخول من الجانبين، وشيئاً فشيئاً يأخذون في احتلال الظلال الباقية للأرضية، بين سلال الورد. إنهم مثل الظلال الاصطناعية، التي لا تُرى وجوهها، هكذا يبقون حتى النهاية.

هل رأيت كيف أحتمل بصورة جيدة النكبات التي لا تعوض للشركة الزوجية . حسناً سأعود وأتحدى بها الجميع ، وبسعادة كبيرة ، فقط لأساعدك كي تشيخ . ولكن بقوة تحملها بهذه الصورة ، لا أحتمل المضايقات الضحلة للسعادة اليومية أكثر من هذا . لا أحتمل ، عدم معرفتي موعد الطعام أكثر من هذا ، لأنه لا يُعرف بأية ساعة ستصل . لا أحتمل ، أن تموت السمكة في الفرن مرتين ، والمدعوون يدورون سكارى فوق السجاد ، منتظرين مجيئك . (إذا وصلت !) أكثر من هذا . لا أحتمل أكثر ، حين تصل ، تصبح لعوباً حتى ، إنهم يبدأون بمعاملتي ، وكأني أنا التي وصلت متأخرة ، والأسوأ ، أنني أنا ،

التي لا تدعك تصل ، ولا ينقصك إلا الجلوس إلى البيانو ، لكي يقع الكل من النشوة أمام قدميك ، وحتى إسود المرمر في القفص ، يبدأون بالغناء ككورال الأغاني نفسها طوال الحياة ، النبيذ الذي تملكه أسونثيون ليس أبيض ، ولا أحمر ، بل ليس له لون ، طوال الليلة ، مرة واحدة ، ومرة أخرى إلى حين لا تبقى قطرة نبيذ واحدة في الأباريق .

(ضجرة): لقد انتهى الأمر !

بغضب شديد:

لا أحتمل أكثر ، بأنك تذهب إلى كل الجهات ، مطلقاً الأكاذيب بحدبتين أكبر حجماً من حدبتي جمل ، وبعدها تعود دائماً لتسألني «أليس بهذا الشكل ، حبيبتي؟» وأنا علي أن أجيبك دون نقصان ، مثل القندلفت أثناء القداس ، ضارباً على الناقوس ، «نعم ، نعم ، حبيبي» . لا أحتمل أكثر ، مجرمين سياسيين على مائدتنا . لا أحتمل أكثر ، افتراءات سخيفة ضد أدبائي المفضلين . لا أحتمل أكثر ،

النكتة ، التي تتحدث عن ذلك الذي يطلب في الكانتينة ويسكي بدون ماء ، فيجيؤون بلا صودا ، لأن الماء غير موجود . لا أحتمل أكثر ، المصيبة في المطبخ ، عندما تبدأ باستحضار وصفة طبخ الديك الهندي . لا أحتمل أكثر ، الجرد الصباحي لثقل دمك ، عندما لا تجد القميص الذي تحب ، عندما تكون هناك دزينة مشابهة في الدولاب ، مكوية للتو ، يمكن تحسس سخونتها . لا أحتمل أكثر ، خزانة أوكسجين الطوارئ عند الساعة الثالثة فجراً ، كل مرة عندما تأخذ قطرة أكثر ، وتستيقظ بالسبات الأبدي ، بأن ينقصك الهواء للتنفس . لا أحتمل أكثر ، تذمرك ، لأنك لا تجد العدسات اللاصقة ، لأنك تحملها في عيونك ، ولا نفاد ورق التواليت المعطر برائحة الزهور ، ولا سلسلة الملابس في البيت كله : الربطة في السلة ، السترة في الصالة ، القميص فوق المائدة ، الأحذية في المطبخ ، الجوارب عند اية جهة ، وكل الأضواء مشتعلة إلى الجهة التي تذهب ، ورعب الفيضان عند الاستيقاظ ، لأنك نسيت في الليل إغلاق مفاتيح البانيو ، والتلفزيون يتكلم وحده ، وأنت كما لو لم يكن هناك

وأنت كما لو لم يكن هناك شيء ، كل العالم يهبط ، مخدراً خلف هذه الجريدة والتي تورّقها ، وستعيد توريقها إلى اليمين وبالعكس ، كما لو أنها كانت مكتوبة باللغة العربية . لا أحتملك أكثر لابساً ملابسك على طريقة المانولا (المستخنث) ، بوجه مصبوغ وبصوت لمختل عقلياً مغنياً ذات الهذر الأبدي :

تأخذ مطواة المانولا وتُمثل الأغنية:

عندي ،
عندي دجاجة لكي أزيد الفراخ ،
دجاجة في بيتي ،
تغني ،
طوال الوقت ولا تبيض ،
ولا تبيض حتى الآن . إلى آخره .

ترمي المطواة بغضب، وتأخذ علبة الكبريت لتشعل سيجارة، لكنها فارغة.

تستمر دون قطع المونولوج العديد من علب الكبريت الموضوعة في أماكن مختلفة على خشبة المسرح، لكنها كلها فارغة. تفتت واحدة على الأرض.

(صارخة): لا أتحمل أن تكون بهذه اللطافة يا نذل !

تعمل فاصلة، لاهثة وعندما تستعيد النفس، تستأنف في صوت أكثر جدية:

ستكمل نصف قرن من حياتك ، ولم تكتشف إلى الآن ، بالرغم من رحلات القمر ، بالرغم من كل تلك السعادات الروحية ، بأن الكائنات الإنسانية تستمر بكونها شبيهة بالكلاب . أنني واعية ، كيف ينظر إلى بعض الرجال (وبعض النساء ، بطبيعة الحال) ، وكيف أنهم يختارونني من بعد ، ويفتحون الطريق لي وسط الزحام ، ويأتون باتجاهي ، ويحيونني مع قبلة ، تبدو لكل العالم قلبية ، ولكنها ليست كذلك دائماً . ماذا تعتقد ! الأغلبية تفعل ذلك من أجل شمي فقط ، مثل الكلاب في الشارع ،

رائحة ، تقول لهم ، أن نعم . من ضمن الناس الذين نعرفهم ، حتى تحت الأصدقاء الأكثر حميمية ، كل إمرأة تعرف ، من الرجال ، أن نعم ، وهم أنفسهم أيضاً يعرفون . إنها مجموعة موحدة بحلف موثوق ، لا يتحدث عنه أحد أبداً ، وربما لن يتحدث عنه أحد أبداً ، ولكنه هناك متيقظ دائماً ، ودائماً تحت التصرف .

أكثر سرعة:

بصورة من الصور جاء اليوم الذي لم يعد ينقصني فيه وجود رجل يحبني يبقى ليوقظني بحب عندما يسرقني النعاس ، ليصفق باب البانيو عندما يطول انتظاره ، لكي لا يُرعبه أن يكون مصاص دماء على كوكب آخر ، ما يؤهله أن يكون حيث يرغب وكما يريد وألاّ يكون في الفراش دائماً كالأموات . رجلاً لا يسمح بفعله معي لأنه يتخيل أنني لا أرغب بذلك ، إنما يجبرني على حب أن أفعله بالرغم من عدم رغبتي به ، في كل ساعة وفي كل مكان ، في مرحاض

به ، في كل ساعة وفي كل مكان ، في مرحاض الطائرة بينما كل العالم ينام فوق الأطلسي ، وبأنه حتى في الضباب الخارجي وفي النهايات الأكثر عمى يعرف بأني أنا معه دائماً ، أنا وليس غيري كانت مُرسلة لفعل ما هو فوق طاقتها لكي تجعله سعيداً ولتكون سعيدة معه حتى الموت التفاهة .

متيقظة ولم تجد كبريتاً في الجرارات، تقترب للمرة الأولى من الزوج، كما لو كان قطعة أثاث إضافية، وتُخرج ولاعة من جيب سترته، وبعد إشعالها للسيجارة تقول له:

وإذا لم أجده ، لا يهم . أفضل أن أبقى أبحث عنه إلى الأبد بحرية ولا رعب اكتشاف وجود إمرأة أخرى يستطيع أن يحبها كما أحببت أنا واحداً في هذه الحياة . هل تعرف من؟ *(تصرخ بقربه)* :

أنت ، يا نذل .

دون غضب، دون شر، تقريباً مثل مداعبة، تُشعل الجريدة

التي يقرأها الزوج. بعدها تبتعد، تعطيه ظهرها، وتصل إلى نهاية المونولوج دون أن يخطر في ذهنها بأن النار تنتشر، وأن الزوج غير المتحرك يتآكل بسبب اللهيب.

أنت : هو الشيطان المسكين الذي هربت معه عارية منذ ولادتي ، والذي كنت أراقبه حينما كان ينام لأتأكد بأنه حي وأنه كان ملكي ، وكنت أعيد النظر بكل مسامة من جلده تولد للتو لكي أحرص ألا ينقصه شيء : لا تجغيدة أكثر ، لا مسامة أقل ، لا شيء يستطيع أن يقلق راحة من كان ملكي :

يبدأ أول خيط من االيل على سعته يبدأ بحجم متنام، وغارسييلا تشرع برفع الصوت كي تسمع نفسها.

لأنني أنا التي اخترعته من أجلي ، مثلما حلمت بخياله ذاته أو مشابهاً له في زمن قبل أن أعرفه ، لكي أملكه للأبد ، نقي وقوي في لهيب الحب الأكبر ويا للتعاسة لم يكن موجوداً أبداً في هذا الجحيم .
(ناعقة) : تف !

للموسيقيين غير المرئيين :

اتركوني أتكلم !

هذا هو آخر ما يصل إلى السمع. خيط الليل يتكاثر إلى حد غير ممكن. يختنق الصوت، وغارسيلا تستمر تلفظ جملاً غير مسموعة ضد الموسيقيين، مشيرة بإنذارات غير مسموعة ضد المدعوين الذين هم بلا وجوه في شبه الظل، متمردة ضد الحياة، ضد كل شيء، بينما الزوج رابط الجاش ينتهي متحولاً إلى رماد.

ستار

مكسيكو ، نوفمبر ١٩٨٧





هذا الكتاب

كتاب غابرييل غارسيا ماركيز الأخير «خطبة لاذعة ضد رجل جالس» Diatriba de amor contra un hober sentado أثار نشره الاهتمام في اميركا اللاتينية وأسبانيا. فهو من أشد أعمال ماركيز قرباً إلى الواقعية، بل يذهب العمل في طريقة كتابته وحدّة نقده للعلاقات الاجتماعية بعيداً، حتى ينضوي تحت قائمة الكتابات الواقعية النقدية، دون أن يرشحه أحد إلى ذلك.

الشكل الأول للعمل كُتب في المكسيك عام ١٩٨٧، حيث أُخرج على المسرح وعُرض بعدها بفترة قصيرة في هافانا وبوينس آيرس، ثم أعاد ماركيز كتابته من أجل عرضه في بوغوتا عاصمة كولومبيا.

عُرض هذا العمل للمرة الأولى في كولومبيا من قبل المسرح القومي في يوم ٢٣ مارس ١٩٩٤، ضمن احتفالات مهرجان المسرح الأميركي اللاتيني الرابع، بالتعاون بين المسرح الحر لبوغوتا والمعهد الكولمبي للثقافة.

